الفصل الرابع

حديث خطبة الإمام علي عليه السلام بنت أبي جهل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: شبهة ابن تيمية وجوابها

المبحث الثاني: الطرق المعتمدة لهذا الحديث

المبحث الثالث: تفرد الزهري بهذا الحديث
وذكر متابعاته ومناقشتها

المبحث الرابع: دلالات الحديث ونكاراته

تمهيد

إنّ فضائل الزهراء عليها السلام كثيرة يعجز اللسان عن عدّها فضلاً عن إحصائها، ولعل أكثرها شهرةً الحديث المتواتر بين الفريقين، والذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يردده في أكثر من مناسبة.

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني»[1].

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «إنما فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها» صححه الحاكم حيث قال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه[2].

وقوله صلى الله عليه وآله: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني»[3].

وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»[4].

قال ابن حجر العسقلاني في تعليقه على هذا الحديث:

«وفى الحديث تحريم أذى من يتأذى النبي صلى الله عليه وسلم بتأذيه؛ لأنّ أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقاً قليله وكثيره، وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح»[5].

---

(١) صحيح البخاري:ج٤ص٢١٠. صحيح مسلم:ج٧ص١٤١. سنن الترمذي:ج٥ص٣٦٠.
(٢) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين،ج٣ص١٥٩.
(٣) ابن الصباغ: الفصول المهمة،ج١ص٦٦٤. الناشر: دار الحديث – إيران،ط١ ـ ١٤٢٢هـ
(٤) السيوطي: الجامع الصغير،ج٢ص٢٠٨. الناشر: دار الفكر، بيروت.
(٥) فتح الباري:ج٩ص٢٨٨. الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

إذن فاطمة عليها السلام بضعة وشجنة وقطعة من روح أبيها، ومن يغضبها فقد باء بغضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وآله.

وهذا الحديث طالما كان صداه يرن بأُذن من كان على مقربة من مسرح الأحداث، ولعل السبب لا يخفى عليهم، وقد حفل بحثنا بتلك الأحداث التي ألمت بالزهراء عليها السلام.

قال الشيخ الاميني في غديره:«وبقوله: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، وبهذا الهتاف تعلم أن ندم الخليفة كان في محله، غير أنه ندم ولات حين مندم، ندم وقد قضي الأمر ووقع ما وقع، ندم والصديقة الطاهرة مقبورة وملء إهابها موجدة»[1].

المبحث الأول: شبهة ابن تيمية

ولكن هناك من أثار الغبار حول هذه الحقيقة وقلب الأمور ليكون علياً هو السبب في إغضاب فاطمة عليها السلام، وبذلك يضيف ظلامة جديدة إلى ظلاماتها عليها السلام التي تقدم الحديث عنها.

قال ابن تيمية الحراني في منهاج السنة:

«فسبب الحديث خطبة على رضي الله عنه لابنة أبي جهل، والسبب داخل في اللفظ قطعاً؛ إذ اللفظ الوارد على سبب لا يجوز إخراج سببه منه؛ بل السبب يجب دخوله بالاتفاق، وقد قال في الحديث يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، ومعلوم قطعاً أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها،

(١) الغدير: ج٧ص ١٧٤.

والنبي صلى الله عليه وسلم رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيداً لاحقا بفاعله، لزم أن يلحق هذا الوعيد علي بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيداً لاحقا بفاعله كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي»[١].

جواب الشبهة

أولاً: ليس السبب هو خطبة بنت أبي جهل؛ بل السبب هو من أغضبها حتى لحقت بربها غير راضية عنه، كما قرأنا في أول البحث رواية صحيح البخاري:« فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت»[٢].

ثانياً: نسلّم أن السبب لابد أن يكون داخلاً في اللفظ؛ ولكن السبب والعلة الحقيقية هو ما تقدم فلا نطيل.

ثالثاً: إن هذا الحديث باطل وموضوع من أساسه كما سيتضح، وعليه فلا يمكن أن تكون هناك مشابهة بين علي عليه السلام وأبي بكر، فلا يصل الكلام الى الوعيد المفروض؛ لأن علياً مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته.

قال عبد الله بن عمر«علي من أهل البيت لا يقاس بهم، علي مع رسول الله في درجته، إن الله يقول: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم**﴾ ففاطمة مع رسول الله في درجته وعلي معهما»[٣].

---

(١) ابن تيمية الحراني: منهاج السنة، ج٤ ص ٢٥٠، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط ١- ١٤٠٦ هـ

(٢) البخاري: صحيح البخاري،ج٤ ص ٤٢.باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى الإسلام والنبوة. الناشر: دار الفكر،ط، ١٤٠١هـ

(٣) الحسكاني: شواهد التنزيل،ج٢ص٢٧١، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية –قم، ط ١، ١٤١١هـ

وكذلك روى أبو نعيم في خصائص الوحي المبين عن علي عليه السلام: «نحن أهل بيت لا نقاس بالناس»[١].

ومن كان كذلك محال أن يتوعده رسول الله بأي نحو من إنحاء الوعيد.

وسيتضح الأمر أكثر في دلالات هذا الحديث ونكاراته في بحوث لاحقة إن شاء الله تعالى.

إذن فقياس أبي بكر بعلي عليه السلام باطل ولايمكن قبوله بحال. والآن نشرع في نقل حيثيات هذا الحديث وبيان طرقه وما ذكر من متابعات ومن تفرد به وبيان دلالاته ونكاراته.

المبحث الثاني: الطرق المعتمدة لهذا الحديث

الطريق الذي أُتفق عليه هو:

١ـ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن(الزهري): «أن المسور بن مخرمة، قال: خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وأن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي الخطبة»[٢].

---

(١) نفس المصدر: ج٢ص٢٧٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج٤ ص٢١٢ ـ ٢١٣، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، الناشر: دار الفكر ـ بيروت؛ صحيح مسلم: ج٧ ص١٤٢، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، الناشر: دار الفكر ـ بيروت.

٢- وروى مسلم في صحيحه: « عن ابن شهاب (الزهري) أن علي بن الحسين حدثه إنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها، قال: فقلت له: لا، قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً حتى تبلغ نفسي، إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها، قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي، وإنى لست أُحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً»[١] واكتفي بما روي في الصحاح؛ لأن مجمل الروايات الأخرى محل نظر[٢].

المبحث الثالث: تفرد الزهري بهذا الحديث وذكر متابعاته ومناقشتها

من خلال المتابعة لطرق هذا الحديث نرى أن أصله هو من الزهري وهو الذي تفرد به عن المسور بن مخرمة، فمعظم هذه الطرق تنتهي إليه، وما ذكر من متابعات سوف نناقشها، وأما الروايات الأخرى فلا تخفى على أهل الصناعة، فهي أما منقطعة أو مرسلة، فلا نستطيع أن نقول إنها متابعة للزهري؛

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٤١.

(٢) انظر: السيد علي الميلاني، رسالة في حديث خطبة علي بنت أبي جهل، ص١٧ ـ ٢٢، فصل نظرات في أسانيد الحديث، وأثبت هناك أن أسانيد هذه الروايات كلها ضعيفة وغير مقبولة. الناشر: مطبعة ياران ـ قم، ط ١، ١٤١٨هـ

لاحتمال أن يكون الزهري هو الأصل فيها وهو القدر المتيقن عند الشك؛ وذلك لكثرة الطرق التي تنتهي إليه مع شهرة الحديث عنه؛ لذا أعرضنا عن نقل بقية الطرق في المصادر الأخرى.

المتابعات لحديث الزهري

قد يُعترض ويُناقش من غير ما رواه الزهري:

١ـ من طريق ابن أبي مليكه عن المسور بن مخرمة قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن ثم لا... الحديث.»[(١)]

فقد يقال: إن هذه متابعةٌ للزهري؛ لأنها تدل على أن علياً قد كان خطبها[(٢)].

الجواب: إنّ حديث ابن أبي مليكة لو دققنا وتأملنا فيه فإننا لم نجد ما يدل على أن علياً عليه السلام قد خطب بنت أبي جهل، فرسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوه (أي طلبوا الإذن منه) أن ينكحوا ابنتهم علياً عليه السلام فهم طلبوا ذلك رغبة في الزواج منه عليه السلام، والواسطة هو رسول الله صلى الله عليه وآله، إذن فعلي ليس هو الطالب منهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا آذن لهم، ورفض هذا الطلب، فلم نجد ذكراً في هذا الحديث أنّ علياً خطب بنت أبي

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٥٨. صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٤١. أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٤ ص ٣٢٨، أبو داود السجستاني:سنن أبي داود، ج١ ص ٤٦٠، الترمذي: سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٥٩. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٧ ص ٣٠٧.

(٢) بدر الدين الحوثي: الزهري أحاديثه وسيرته، ص٤٨، الناشر: مؤسسة زيد ابن علي الثقافية.

جهل، وهذا واضح جداً.

ولعل ما رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك يؤكد هذا المعنى فقد روي عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير: «أنّ علياً ذكر ابنة أبي جهل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنها فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»[(١)].

فهذه الرواية تقول (ذَكَر) وليس (خَطَبَ) وفرق بين الأمرين، فالذكر يحصل بدون الزواج، وأما الخطبة فهي طلب للزواج، ولعل ذكره لها عليها السلام من باب حسن إسلامها وذلك مقارنة بأبيها.

٢- ما رواه الطبراني في المعجم الكبير:

«حدثنا محمد بن السري بن مهران الناقد ثنا محمد بن عبد الله الرازي ثنا عبيد الله بن تمام ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت تزوجها فرد علينا ابنتنا» [(٢)].

فقد يقال: إن هذه متابعة لحديث الزهري لأنها تثبت الخطبة في الجملة.

الجواب: عندما نقول إن هذا الحديث يتابع الحديث الآخر، لو كان صحيحاً، فلو كان الحديث ضعيفاً لا تسمى متابعة، وهذا الحديث فيه عبيد الله بن تمام أبو عاصم.

قال الرازي: «سئل أبو زرعة عن عبيد الله بن تمام، فقال: ضعيف

(١) مسند أحمد: ج ٤ ص٥. المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ج ١١ ص٢٧٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

الحديث، وأمر بأن يضرب على حديثه»[١].

وقال ابن حبان في المجروحين:« وكان ممن ينفرد عن الثقات بما لا يعرف من أحاديثهم حتى يشهد من سمعها ممن كان الحديث صناعته أنها معمولة أو مقلوبة لا يحل الاحتجاج بخبره»[٢].

وقال العقيلي في ضعفائه: «كان عنده عجائب»[٣].

قال ابن حجر في لسانه:« ضعفه الدارقطني وأبو حاتم وأبو زرعة»[٤].

فهو متفرد بهذه الرواية ولا يصح الاحتجاج بخبره.

قال الطبري: «لم يروه عن خالد إلا ابن تمام تفرد به عن الأزري»[٥].

أضف إلى ذلك أنّ عكرمة متهم بالكذب والخفة، وعدم التقوى والخبث ويرى رأي الصفرية، وهم من غلاة الخوارج ومداخلة الأُمراء وطلب جوائزهم، ويرى رأي الإباضية. إلى غيرها من التهم التي تسقط حديثه عن الاعتبار[٦].

إذن لا تصح هذه المتابعة بعد ضعف هذا الحديث، وان المتهم فيها هو

(١) الرازي: الجرح والتعديل: ج ٥ ص ٣٠٩. الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
(٢) ابن حبان: المجروحين، ج ٢ ص٦٧. الناشر: دار الوعي ـ حلب.
(٣) العقيلي: الضعفاء، ج ٣ ص١١٨. الناشر: دار المكتبة العلمية – بيروت.
(٤) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ٤ ص ٩٧، الناشر: مؤسسة الأعلمي– بيروت.
(٥) المعجم الصغير: ج ٢ ص ١٦.
(٦) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٧ – ص ١٧٧ – ١٨١، وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني:ج٧ ص٢٣٥ رقم الترجمة ٤٧٦. وانظر الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢٠ ص ٣٩ رقم الترجمة ٤٩ وانظر تهذيب الكمال للمزي، ج ٢٠ صص٢٦٥– ٢٩٢ رقم الترجمة ٤٠٠٩ – تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

من الخوارج ومن أعداء علي عليه السلام.

إذن ما فرض من متابعات قد تبين فسادها بمقتضى ما تقدم.

أما الروايات الأخرى فيدور أمرها بين الإرسال والقطع والجهالة.

إذن فالزهري هو الذي تفرّد بهذا الحديث عن المسور بن مخرمة، فمن هو الزهري ومن هو المسور؟ ولكي تتضح الرؤية أكثر لابد أن نتصفح حالهما من خلال ما ذكره أهل التراجم والسّير.

١ـ الزهري (ت / ١٢٥ هـ)

هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، من الطبقة الرابعة أي الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين. وقد وثقه القوم؛ ولكنّ الحق الذي يجب أن يقال والذي يفرضه العقل ومنطق الواقع هو خلاف ما قالوه؛ لأننا في الرتبة الأولى لابد من دراسة موضوعية لهذا الرجل، ومن ثم يأتي الحكم على ما يرويه.

الزهري ينكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

ولعل أبرز ما أنكره الزهري هو فضيلة لعلي عليه السلام في سبقه للإسلام مع أن هذه المنقبة اعترف بها القاصي والداني.

قال ابن عبد البر« وذكر معمر في جامعه عن الزهري، قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري»[1].

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢ ص ٥٤٦، الناشر: دار الجيل ـ بيروت.

الزهري من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في نهج البلاغة: «وكان الزهري من المنحرفين عنه. وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة، قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة ابن الزبير جالسان يذكران علياً، فنالا منه. فبلغ ذلك علي بن الحسين فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك، قال: وروى عاصم بن أبي عامر البجلي، عن يحيى بن عروة، قال: كان أبي إذا ذكر عليا نال منه»[1].

الزهري يدرج ألفاظا خارج النص

إنّ الزهري كان يدرج ألفاظاً في الأحاديث النبوية هي من فهمه أو تفسيره، نبه على ذلك البخاري، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي:

« قال الإمام البخاري في جزء القراءة قوله: (فانتهى الناس) من كلام الزهري وقد بينه لي الحسن بن الصباح، قال: حدثنا مبشر عن الأوزاعي قال الزهري: فاتعظ المسلمون بذلك فلم يكونوا يقرؤون فيما جهر، وقال مالك: قال ربيعة: إذا حدثت فبين كلامك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال البيهقي في معرفة السنن: قوله: فانتهى الناس في القراءة من قول الزهري، قاله محمد بن يحيى الذهلي صاحب الزهريات، ومحمد ابن إسماعيل البخاري وأبو داود، واستدلوا على ذلك برواية الأوزاعي حين ميزه

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ١٠٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

من الحديث وجعله من قول الزهري.

وقال في كتاب القراءة رواية ابن عيينة عن معمر دالة على كونه من قول الزهري، وكذلك انتهاء الليث بن سعد وهو من الحفاظ الأثبات الفقهاء مع ابن جريج برواية الحديث من الزهري، إلى قوله ما لي أنازع القرآن الدال على أن ما بعده ليس في الحديث، وأنه من قول الزهري ففصل كلام الزهري من الحديث بفصل ظاهر.

وقال الحافظ في التلخيص الحبير: وقوله: فانتهى الناس إلى آخره مدرج في الخبر من كلام الزهري بيّنه الخطيب واتفق عليه البخاري في التاريخ وأبو داود ويعقوب بن سفيان والذهلي والخطابي وغيرهم»[1].

وقال الخطيب البغدادي: «كان موسى بن عقبة يقول للزهري: أفصل كلامك من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم. لما كان يحدث به فيخلطه بكلامه»[2].

إذن فالزهري أدرج زيادات من تلقاء نفسه، وشهادة الحفاظ كافية في هذا المعنى.

الزهري من المدلسين

عدّه الحافظ ابن حجر العسقلاني في المرتبة الثالثة من المدلسين حيث قال في تعريف هذه المرتبة: «من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من

(١) المباركفوري: تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، ج ٢ ص ١٩٧- ١٩٨، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) نقلاً عن: العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ١٠ ص ٣٣٥، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً»[١].

ثم قال عند ذكره محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، فقال: «... وصفه الشافعي والدار قطني وغير واحد بالتدليس»[٢].

روايته عن قاتل الحسين عليه السلام

وروايته عن عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب:

«عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، وعنه... قال العجلي كان يروي عن أبيه أحاديث وروى الناس عنه وهو تابعي ثقة، وهو الذي قتل الحسين. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين كيف يكون من قتل الحسين ثقة»[٣].

عدم صلاحية الزهري للزعامة الدينية

عندما سُئل عن احتياج الناس إليه في تبليغ الأحكام الدينية، نجده يرفض هذه الدعوى ويعترف أنه ليس أهلاً لها، ولا يقال: إن ذلك كان زهداً من الزهري؛ لأن التصدي لإظهار الفتوى لعوام الناس هو من واجب العلماء، ولكن الزهري كان يرى أن الناس تطأ عقبه؛ لأنه ذلك الإنسان الذي جنّد

(١) ابن حجر العسقلاني: طبقات المدلسين، ص ١٣. الناشر: مكتبة المنار، الأردن - عمان.
(٢) المصدر نفسه: ص ٤٥.
(٣) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٧ ص ٣٩٦، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
ولا تنتهي الغرائب فكما ترى أنّ العجلي يوثق قاتل ريحانة رسول الله، وهو القائل صلى الله عليه وآله: «حسين منى، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً،حسين سبط من الأسباط » في الزوائد: إسناده حسن، رجاله ثقات. انظر سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٥١. وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٢٤. والحاكم النيسابوري: ج ٣ ص ١٧٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

نفسه لخدمة السلطان وأفسدها بصحبة الملوك.

روى ابن عساكر في تاريخه:«عن إبراهيم بن المنذر ثنا سفيان قال قيل للزهري لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة ولزمت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقعدت إلى عمود من عمده وعلمت الناس، فقال ابن شهاب إني لن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، إني إن فعلت ذلك وطئ الناس عقبي»[١].

وروى أيضاً عن ابن عيينة، قال قائل للزهري:« لو جلست في حلقة بالمدينة، فإنه قد احتيج إليك، قال: إذاً لوطئ عقبي، ويبغي لمن فعل هذا، أن يكون زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة»[٢].

وروى أيضاً: عن إسحاق بن إبراهيم المروزي، قال:« سمعت سفيان يقول: قيل للزهري: لو جلست إلى سارية، فقال: إني إذا فعلت ذلك لوطئ الناس عقبي، ولا ينبغي أن يقعد ذلك المقعد إلا رجل زهد في الدنيا» [٣].

فهو يعترف بنفسه بعدم صلاحيته للزعامة الدينية للناس بعد أن تلبس بلباس الجور وصحبته للظلمة.

وقال القاسم بن محمد:«أليس كان بنو أمية وأتباعهم يلعنون علياً عليه السلام على المنابر، وابن شهاب يسمع ويرى، فماله ما يغضب ويظهر علمه»[٤].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٥ ص ٣٦٢، الناشر: دار الفكر - بيروت.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥٥ ص ٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ٥٥ ص ٣٦٢.

(٤) السيد محمد رضا الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص٢٢٥، نقلاً عن كتاب الاعتصام: ج٢ ص ٢٦٠.

كان جنديا وأميرا في دولة بني أمية

قال الذهبي:«كان رحمه الله تعالى محتشماً جليلاً بزي الأجناد، له صورة كبيرة في دولة بني أمية... قال محمد بن إشكاب: كان الزهري جندياً، قلت: كان في رتبة أمير. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: إرسال الزهري ليس بشئ؛ لأنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم... عن مكحول وذكر الزهري، فقال: أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك.

قلت [أي الذهبي]: بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مداخلاً للخلفاء»[١].

نقول: كيف لا يعتد به وقد وصفتم الزهري بأنه كان في رتبة أمير في دولة بني أُمية، وقد صرح أكثر العلماء أن الذي يكون بهذه الصفة يكون مفسداً لنفسه.

قال مكحول وهو فقيه الشام، الذي وثقتموه في كتابكم الكاشف:«أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك»[٢].

المقارنة بينه وبين الأعمش

حكى الحاكم عن ابن معين حين سئل عن المقارنة بينه وبين الأعمش، قال: «الزهري يرى العرض والإجازة، ويعمل لبني أمية؟ والأعمش فقير صبور، مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج٥ ص ٣٣٧- ٣٣٩. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان.

(٢) الكاشف، ج ٢ ص ٢٩١. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة ط ١، ١٤١٣هـ

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١ ص ٦٢٥.

العلماء يجرحون الزهري

أما العلماء الذين جرحوا الزهري فهم كالتالي:

١- ابن معين

وتكلم فيه شيخ أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين بكلام خشن، حول قتله لغلامه، قال ابن عبد البر في جامع البيان وعلمه:

«قد كان ابن معين عفا الله عنه يطلق في أعراض الثقات الأئمة لسانه بأشياء أنكرت عليه، منها قوله في الزهري: إنه ولى الخراج لبعض بني أمية، وإنه فقد مرة مالاً فاتهم به غلاماً له فضربه فمات من ضربه، وذكر كلاماً خشناً في قتله على ذلك تركت ذكره لأنه لا يليق بمثله»[(١)].

وقال ابن معين أيضاً عنه في معرفة الرجال: «هجا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - وكان أعمى - الزهري وصالح بن كيسان، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر، في بيت واحد، فقال:

ليس بإخوان الثقات ابن مسلم ولا صالح ولا الطويل معاوية[(٢)].

فنفى ابن معين الوثاقة عن الزهري على لسان الشاعر، أضف الى ذلك أن الزهري لم يرد على ابن مسعود وكأنه أمضى كلامه.

٢- خارجة بن مصعب أبو الحجاج السرخسي الفقيه

قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة (خارجة بن مصعب): «قدمت

---

(١) ابن عبد البر: جامع البيان وفضله، ج٢ ص ١٥٩، الناشر: دار الكتب العلمية،ط ١٣٩٨ هـ

(٢) السيد محمد رضا الجلالي: جهاد الإمام السجاد، ص ٢٢٥، نقلاً عن معرفة الرجال: ج٢ ص٥٠، الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط ١٤١٨ هـ

على الزهري وهو صاحب شرطة بني أمية، فرأيته ركب وفي يديه حربة، وبين يديه الناس، وفي أيديهم الكافر كوبات![1] فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه»[2].

٣- أبو حازم سلمة بن دينار

قال ابن عساكر في تأريخه في ترجمة (سلمة بن دينار):

وكان سلمة يتكلم عن علماء اليهود، قال: «... حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما أنكسوا وانتكسوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت، فكان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم في دنياهم وشركوا معهم في فتكهم، فقال ابن شهاب يا أبا حازم لعلك إياي تعني أو بي تعرض، فقال: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع، قال سليمان: يا ابن شهاب: تعرفه، قال: نعم، جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط، قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببت الله لأحببتني، قال ابن شهاب: يا أبا حازم شتمتني، قال سليمان: ما شتمتك، ولكن أنت شتمت نفسك»[3].

ثم يعطف سليمان الكلام حول الجار(أما علمت أن للجار على الجار حقاً) وهو غريب، فالزهري يعلم أن الكلام موجه إليه ويشبهه بعلماء بني إسرائيل، وإنّ علماءهم شاركوا أمراءهم في دنياهم وشاركوا معهم في فتكهم، والقرينة التي تدل على ذلك قوله: (هو ما تسمع) ولم ينف أبو

(١) هكذا في الأصل.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١ ص٦٢٥، ترجمة خارجة بن مصعب السرخسي.

(٣) ابن عساكر: تأريخ مدينة دمشق: ج٢٢ ص ٣٧.

حازم التهمة عنه.

٤- المؤيد بالله في شرح التجريد

قال:« الزهري عندنا في غاية السقوط»[١].

٥- القاسم بن محمد (من أئمة الزيدية)

قال:«أما الزهري فلا يختلف المحدثون وأهل التاريخ في أنه كان مدلساً، وأنه كان من أعوان ظلمة بني أمية، وقد أقروه على شرطتهم»[٢].

ابن المسيب ينكر على أعوان الظلمة

ويحدثنا ابن المسيب كما ينقل الذهبي في سير أعلام النبلاء:

«قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم»[٣].

فابن المسيب يرى سنخية بين التعامل مع أعوان الظلمة وبين حبط الأعمال، فالذي يتعامل معهم يحبط عملة، فما بالك بأعوان الظلمة أنفسهم، وهل يشك عاقل بأن الزهري ليس من أعوان الظلمة؛ بل هو الأمير والجندي المطيع لبني أمية، كما تقدم من الذهبي وغيره.

وقال الشيخ محمد أبو شهبة:

«اعتبروا من الجرح الذهاب إلى بيوت الحكام، وقبول جوائزهم، ونحو ذلك مما راعوا فيه إن الدوافع النفسية قد تحمل صاحبها على الانحراف»[٤].

---

(١) نقلاً عن لوامع الأنوار: ص١١٠: السيد محمد رضا الجلالي: جهاد الإمام السجاد، ص ٢٢٦.

(٢) الاعتصام: ج٢ ص ٢٥٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤ ص ٢٣٢ ترجمة سعيد بن المسيب.

(٤) نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة، ص٣١: السيد محمد رضا الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص ٢٢٤.

مواعظ الإمام السجاد للزهري

بعد أن رأى الإمام السجاد عليه السلام أن هذا الرجل من وعّاظ السلاطين وعمالهم، أراد ان ينصحه ويعيده إلى جادة الصواب ليلقي عليه الحجة، فكتب إليه:

«إن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي... جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسُلّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، احذر فقد نبئت، وبادر فقد أجلت. ولا تحسب أني أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكنني أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويرد إليك ما عزب من دينك، أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟!.. فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم.. ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول: والله ما قمت لله مقاماً واحداً ما أحييت به له ديناً، أو أمت له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك. ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه: ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[1] استحملك كتابه واستودعك علمه فأضعتها، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسلام»[2].

---

(١) مريم / ٩٥.

(٢) ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ص٢٧٧. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

خلاصة ما تقدم

بعدما ذكرنا نبذة من تأريخ حياة (محمد بن مسلم الزهري) يأتي السؤال القهري وهو:

أولاً: هل يمكن أن نصدّق بمقالة الزهري، والتي ينتقص فيها من أمير المؤمنين عليه السلام كما ستأتي الإشارة إليه في شرح دلالة هذا الحديث؛ بل الصدق كل الصدق والقريب إلى الواقع أن الزهري أدرجه من نفسه، ووضعه بلا وازع من دين؟! أليس هو الجندي والمدافع عن حريم بني امية، والجسر الذي يعبرون عليه إلى بلاياهم، وسُلّماً إلى ضلالتهم، كما يقول الإمام السجاد عليه السلام، أليس هو المنحرف عن أمير المؤمنين والمنكر لفضائله، والراوي عمن قتل ابنه عليه السلام.

ثانياً: ثم هل نستطيع أن نحكم بوثاقة الزهري بعد ما تقرر من مفردات حياته.

نعتقد أنّ الإنصاف والوجدان والضمير الإنساني، يحكمان بخلاف من ترجم له ووصفه بالوثاقة.

٢ـ المسور بن مخرمة (ت / ٦٤ هـ)

هو: المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف القرشي،قالوا في ترجمته:

المسور من جنود عبد الله بن الزبير

قال الذهبي: « وقد انحاز إلى مكة مع ابن الزبير، وسخط إمرة يزيد، وقد

أصابه حجر منجنيق في الحصار»[١].

وقال أيضاً:« وعن عطاء بن يزيد كان ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسور بمكة»[٢] ومعلوم أن عبد الله بن الزبير قد أضل أباه وزيّن له حرب علي عليه السلام في معركة الجمل.

روى ابن أبي الحديد: «وكان عبد الله بن الزبير يبغض علياً عليه السلام، وينتقصه وينال من عرضه، وروى عمر بن شبه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السيّر، أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها، وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى: أن له أُهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره»[٣]

المسور يصلي على معاوية

قال الذهبي:«قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه»[٤] فمن كان يصلي على معاوية العدو اللدود لعلي عليه السلام؛ كيف نستطيع أن نطمئن لرواياته ونثق بصدورها وإن رويت في أصح الكتب.

الخوارج ينتحلون رأي المسور

بل نجد أن الخوارج ينتحلون رأيه، كما قال الذهبي: «قال الزبير بن بكار

(١) سير أعلام النبلاء:ج٣ص٣٩١.
(٢) سير أعلام النبلاء:ج٣ص٣٧٣.
(٣) شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٦٢، فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعلي.
(٤) المصدر نفسه:ج٣ص٣٩٢. وانظر: تاريخ دمشق:ج٢٨ص٢٠٨.

كانت الخوارج تغشاه وينتحلونه»[١].

وروى ابن عساكر عن الزبير بن بكار: «وكانت الخوارج تغشى المسور بن مخرمة وتعظمه وينتحلون رأيه»[٢] ومن كان هذه صفته هل يُعقل أن ينصف علياً؛ بل لابد أن نجد مثل هذه الأحاديث وغيرها المئات التي تنال من علي وأهل بيته الطاهرين.

ابن حجر يقول: خبر المسور مشكل المأخذ

أما لو تتبعنا فيما ينقله من هذا الحديث، فنجد أنّ هناك من الحفّاظ من أشكل في مولده يوم وقعت هذه الخطبة.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب:

«ووقع في (صحيح مسلم) من حديثه في خطبة علي لابنة أبي جهل، قال المسور: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أنا محتلم يخطب الناس... فذكر الحديث.

وهو مشكل المأخذ؛ لأن المؤرخين لم يختلفوا أن مولده كان بعد الهجرة، وقصة خطبة علي كانت بعد مولد المسور بنحو من ست سنين أو سبع سنين، فكيف يسمى محتلماً!

فيحتمل أنه أراد الاحتلام اللغوي، و هو العقل، والله تعالى أعلم».[٣]

نقول: لقد وقع ابن حجر في تهافت واضح، فلا يمكن أن نفسر الاحتلام باللغة، لان من الواضح أن الاحتلام ينصرف الى المعنى العرفي وهو

(١) المصدر نفسه:ج٣ص٣٩١.
(٢) تاريخ دمشق:ج٥٨ص١٦١. وانظر: الذهبي تاريخ الإسلام: ج٥ص٢٤٥.
(٣) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ١٠ ص ١٥١.

البلوغ.[١] وحمله على العقل تكلف لا سبيل إليه.

اعتراض ابن حجر على المسور

وقال ابن حجر أيضاً في فتح الباري: «ولا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في تعصبه لعلي بن الحسين حتى قال: أنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحداً منه حتى تزهق روحه، رعاية لكونه ابن فاطمة محتجاً بحديث الباب، ولم يراع خاطره في أن ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على علي بن الحسين لما فيه من إيهام غض من جده علي بن أبي طالب حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة حيث اقتضى أن يقع من النبي في ذلك من الإنكار ما وقع؛ بل وأتعجب من المسور تعجباً آخر أبلغ من ذلك وهو أن يبذل نفسه دون السيف رعاية لخاطر ولد ابن فاطمة، وما بذل نفسه دون ابن فاطمة نفسه أعني الحسين والد علي الذي وقعت له معه القصة حتى قتل بأيدي ظلمة الولاة»[٢].

فابن حجر يذكر اعتراضين على المسور:

الأول: أن المسور وقع في تناقض في مضمون كلماته فهو يجرح عواطف الإمام علي بن الحسين عليه السلام بإيراد هذه القصة وفي الوقت نفسه يريد إظهار الحب له، كتمهيد لطلب سيف رسول الله صلى الله عليه وآله منه؟!

الثاني: إذا كان هذا الحب لآل النبي صلى الله عليه وآله عند المسور لماذا لم يساهم في نصرة الحسين عليه السلام ضد ظلمة الولاة بنفسه في حين أنه يدعي أنه يبذل نفسه للسيف، وهل السيف أهم وأشرف من آل الرسول صلى الله عليه وآله؟!

(١) انظر ابن الجوزي: زاد المسير، ج٢ ص٨٦

(٢) فتح الباري: ج٩ ص٢٨٥، دار المعرفة ـ بيروت.

وقال المزي في تهذيب الكمال: «وولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، فقدم به المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان عام الفتح، و هو ابن ست سنين»[١].

إذن على ضوء ابن حجر والمزي فيكون عمره ست سنوات فهل هذه السن المبكرة تجعل من المسور ذاكراً لهذه القصة بتمامها وتفاصيلها.

إذن تبين لنا من خلال هذه المراجعة الفاحصة لكلا الرجلين (الزهري والمسور) أنّ هناك نقاطاً لابد من أخذها بعين الاعتبار، مما تشكل دليلاً على سقوط الزيادة في هذا الحديث، وهي الخطبة المزعومة، ولعل من تأمل في الدلالة يتضح له الأمر أكثر.

المبحث الرابع: دلالة الحديث ونكارته

ولو دققنا النظر في هذا الحديث نرى آثار الوضع واضحة عليه كوضوح الشمس في رابعة النهار، فلو تأمل المنصف بمدلولاته ومعانيه، لقطع بوضعه جزماً؛ فالروايات التي ذكرناها من طريق (الزهري وابن أبي مليكة عن المسور) والتي استشهد بها ابن تيمية وصوّر أن الإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله هو من فعل علي عليه السلام لأنه خطب بنت أبي جهل، فيكون علي هو السبب في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله ولذا قال صلى الله عليه وآله: «يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»، ولكن لنا على هذا الاستدلال بعض الملاحظات وبعض النكارات، وهي كالتالي:

النكارة الأولى: إيذاء علي لرسول الله ولابنته الزهراء

وهذه نكارة مفضوحة للأسباب التالية:

---

(١) المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٧ ص ٥٨٣. الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

السبب الأول: علاقة الأبوة والبنوة

فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الأب والمربي لعلي عليه السلام وكان يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، وينفذ أوامره حرفياً، وكان صلى الله عليه وآله يحرص على تعليمه أشد الحرص؛ بحيث كان إذا سأله أعطاه وإذا سكت ابتدأه، فكان يغذيه بلبان الطاعة لله ولرسوله؛ فلا غرو أن يكون التلميذ وفياً له؛ ولا يمكن أن يتجاوز علي عليه السلام ما تربى عليه من تلك المبادئ والقيم والمُثل العليا التي نشأ عليها في أحضان ابن عمه ومربيه وأستاذه، وهذا ابن حجر العسقلاني يعترف بقوله:«أنّ علياً كان عنده كالولد؛ لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة» [1] فمن كان كذلك كيف يكون سبباً في إيذائه صلى الله عليه وآله.

السبب الثاني: الفداء والتضحية

لذا نجد أنّ علياً فداه بنفسه وروحه عندما نام في فراشه في ليلة الغار حفاظاً على رسول الله من أن يغدروا به؛ بل في سائر حروبه صلى الله عليه وآله كان علي هو الواقي والمحامي والذابّ عنه في الهيجاء. [2] وينقل لنا ابن أبي الحديد

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ص ٨ ص ٣٥٧. الناشر: دار المعرفة بيروت.
ثم يعلق ابن أبي الحديد على هذه الحادثة قائلاً:«قال علماء المسلمين إن فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح، ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم، لأنه قد روى أن إسحاق تلكأ لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفه..، ولذلك قال له: (فانظر ماذا ترى) وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكأ ولا تتعتع، ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه» شرح نهج البلاغة: ج ١٣ص ٢٦٠.

(٢) وخبر الفراش قد ثبت بالتواتر، وهذا ما صرح به شيخ ابن أبي الحديد حيث قال في شرح النهج: «قال شيخنا أبو جعفر (رحمه الله): هذا فرق غير مؤثر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث

عن شيخه أبو جعفر، في رده على الجاحظ حينما نقل فضيلة لأبي بكر في الغار قال معترضاً:

«فما بالك أهملت أمر مبيت علي عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة هل نسيته أم تناسيته فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التي متى امتحنها الناظر، وأجال فكره فيها، رأى تحتها فضائل متفرقة ومناقب متغايرة.. الى أن قال: أجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته، ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجه يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب، والجود بالنفس أقصى غاية الجود» [1] فمن كان يجود بنفسه التي هي أقصى غاية الجود، وهو السامع والمطيع، فهل يعقل أن يكون سبباً في إيذائه صلى الله عليه وآله.

السبب الثالث: علم علي وحكمته

ثم إنّ علياً هو رأس الحكمة والعلم؛ ولذلك كان وزيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله كما يدل على ذلك قوله لعلي عليه السلام «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

الفراش...، ولا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، أرأيت كون الصلوات خمساً، وكون زكاة الذهب ربع العشر،، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه.» شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢٦١- ١٦٢.

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٣ ص ٢٥٩.

ثم يعلق ابن أبي الحديد على هذه الحادثة:« قال علماء المسلمين إن فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح، ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم، لأنه قد روى أن إسحاق تلكأ لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفه..، ولذلك قال له (فانظر ماذا ترى) وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكأ ولا تتعتع، ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه» شرح نهج البلاغة: ج ١٣ص ٢٦٠.

من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» [١] وقد قال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [٢] ومعلوم أن من لوازم الوزارة كمال الحكمة والرأي والفطنة. ومقتضى حكمته وكمال علمه أنه لا يُقدم على إيذائه صلى الله عليه وآله.

السبب الرابع: خلق علي وسمو نفسه

ثم أين هذا من أخلاق علي عليه السلام وسمو نفسه الذي يصفه لنا ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قال:«أخلاق علي عليه السلام كأخلاق محمد عليه السلام مربيه، وأن يكون الكل شيمة واحدة وسوساً واحداً[٣]، وطينة مشتركة، ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا أن الله تعالى اختص محمداً صلى الله عليه وآله برسالته، واصطفاه لوحيه، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقوله: (أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع)، وقال له أيضا: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فأبان نفسه منه بالنبوة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما»[٤] فجميع

(١) قال الشيخ محمد جعفر الكتّاني بما نصه:
«وحديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) متواتر جاء عن نيف وعشرين صحابياً، واستوعبها ابن عساكر، في نحو عشرين ورقة» محمد جعفر الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ص١٩٥، الناشر: دار الكتب السلفية ـ مصر.
وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: «هو من أثبت الآثار وأصحها، ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله سعد بن أبي وقاص، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً، قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره، ورواه ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله وجماعة يطول ذكرهم» ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣ ص١٠٩٧.
(٢) الفرقان: ٣٥.
(٣) أي أصلاً واحداً.
(٤) المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٤.

الفضائل والخصائص مشتركة بينهما عليهما السلام. فمن كان بهذا الخلق الرفيع وهذه الفضائل التي هو رأسها كيف يكون سبباً في إيذائه صلى الله عليه وآله.

السبب الخامس: علي نفس رسول الله صلى الله عليه وآله

أضف إلى ذلك أنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله جل وعلا في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1] فكيف يليق بمن هو بهذه المنزلة العظيمة والرفيعة بحيث يرتقي الى أن يصفه رسول الله بنفسه، وهل يؤذي الإنسان نفسه.

السبب السادس: حب الرسول المطلق لعلي عليه السلام

تروي لنا أم المؤمنين عائشة أنها لا تعلم أن هناك رجلاً على الإطلاق أحب إليه من علي عليه السلام وذلك لما رواه الحاكم النيسابوري، عنها عندما سئلت عن علي عليه السلام: قالت:« تسألني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله من علي». وقال هذا حديث صحيح الإسناد»[2].

وروى أيضاً: بسنده عن أبي الجحاف عن جميع بن عمير قال:«دخلت مع عمتي على عائشة رضي الله عنها فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فاطمة، قيل: فمن الرجال قالت: زوجها» وعلق الحاكم قائلاً (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[3].

وروى الهيثمي في زوائده عن النعمان بن بشير، قال: «استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول:

(١) المصدر نفسه: ج ٣ ص ١٥٧.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ج ٣ ص ١٥٧.

والله لقد عرفت أن علياً وفاطمة أحب إليك منى ومن أبي مرتين أو ثلاثاً فاستأذن أبو بكر فأهوى إليها، فقال يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم»، ثم قال معقباً على هذا الحديث، قلت: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[١].

وأيضا رواه النسائي في الخصائص عن النعمان بن بشير قال: «استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عالياً، وهي تقول: لقد علمت أن علياً أحب إليك مني فأهوى لها ليلطمها، وقال لها: يا بنت فلانة أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج أبو بكر مغضباً»[٢].

فهنا نجد مدى عمق الحب الذي يضمره رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بحيث نجد (غيرة أم المؤمنين عائشة) أخرجتها عن توازنها؛ بحيث هددها أبو بكر بلطمها وخرج غاضباً.

وروى الهيثمي أيضاً عن ابن عباس، قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم سكتا، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: ما لكما كنتما تضحكان فلما رأيتماني سكتما، فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا: أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا بنية لك رقة الولد وعلي أعز علي منك». رواه الطبراني ورجاله

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٠٢. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ط ١٤٠٨ هـ
(٢) النسائي: الخصائص، ص ١٠٨- ١٠٩. الناشر: مكتبة نينوى الحديثة – طهران.

رجال الصحيح[١].

وهنا نرى عطف رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما، ففاطمة هي الرقيقة وعلي هو العزيز، فهما بنفس الدرجة، فهو صلى الله عليه وآله لم يرجّح أحدهما على الآخر؛ لأنهما نفس رسول وروحه التي بين جنبيه.

فلماذا هذا الحب لعلي عليه السلام هل نشأ هذا الحب بلا مسوغ،وبلا مبرر؟ أليس علي منه وهو من علي، كما يروي لنا ابن حبان في صحيحه والنسائي في فضائل الصحابة، وصححه الحاكم في مستدركه[٢].

فمن كان (منه وهو منه) هل يعقل أن يكون سبباً لإيذائه، وهل يعقل أيضاً ان هذا الحب المطلق لعلي عليه السلام وبلا حدود يكون جزاؤه أن علياً يخطب بنت أبي جهل على سيدة نساء العالمين.

السبب السابع: علي عليه السلام ممن أذهب الله عنه الرجس

ثم إنّ علياً ممن طهره الله وأذهب عنهم الرجس، كما ورد في الآية الشريفة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[٣] – وقد تسالمت الأمة الإسلامية على نزول آية التطهير في صاحب الرسالة الخاتمة ووصيه الطاهر وابنيهما الإمامين وأمهما الصديقة الكبرى،

---

(١) نفس المصدر: ج ٩ص ٢٠٢.

(٢) روى ابن حبان في صحيحه:عن عمران عن حصين: «...فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب يعرف في وجهه، فقال ما تريدون من علي ثلاثاً إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي» صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٣٧٤. الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٤ هـ النسائي: فضائل الصحابة: ص ١٥.وقد صححه الحاكم، قال « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» المستدرك: ج٣ ص ١١١.

(٣) الأحزاب / ٣٣.

وأخرج الحفّاظ وأئمة الحديث فيهم أحاديث صحيحة متواترة في الصحاح والمسانيد[١].

ومعلوم أن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله لاسيما عند علي عليه السلام هو ذنب وأي ذنب، فهل تجتمع صفة التطهير من الذنوب مع الإيذاء لرسول الله،ولابنته الطاهرة.

إذن مما تقدم من ذكرنا لهذه الأسباب نقطع بل نجزم بوضع هذا الحديث، أو إدراجه من قبل الزهري. وقد قلنا أيضاً: أن الزهري كثيراً ما يدرج بعض الأحاديث خارج النص من فهمه أو تفسيره.

النكارة الثانية: المقارنة بين علي وأبي العاص بن الربيع

ففي رواية البخاري ومسلم: «فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني

(١) روى مسلم في صحيحه عن عائشة، قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فادخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وروى الترمذي عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال أنت على مكانك وأنت على خير».

وروى الحاكم النيسابوري: عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت: « في بيتي نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة يا رسول الله ما أنا من أهل البيت، قال: إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق». هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وصدقني...» وفي رواية أخرى يرويها البخاري« وقال المسور سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ذكر صهراً له فأثنى عليه في مصاهرته فأحسن، قال حدثني وصدقني ووعدني فوفى لي»[١].

وهذه نكارة مفضوحة أخرى رواها لنا الزهري، فرسول الله صلى الله عليه وآله يعرّض بعلي في مدح أبي العاص فهو الوفي والصادق، وأما علي عليه السلام فليس كذلك. وهذا باطل للأسباب التالية:

السبب الأول: الوفاء والصدق سمة لعلي عليه السلام وليس غيره

يروي لنا مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده، قول علي عليه السلام: « فوالله ما كَذبت ولا كُذبت ثلاثاً ....»[٢] فعلي هو الصادق في القول والفعل وهو في هذا الحديث الصحيح يُقسم بالله انه لم يكذب ولم يكذّبه أحد، فكيف لم يكن صادقاً ولا وفياً مع معلمه ومربيه.

السبب الثاني: قياس مع الفارق

والغريب، أن ينقل لنا الزهري عملية القياس الباطلة بين أبو العاص بن الربيع، والذي بقى في شركه وكفره إلى عام الحديبية، وأسر مع المشركين، وفرق الإسلام بينه وبين زوجته (زينب) بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهاجرت مسلمة، وتركته لشركه.

قال العيني في عمدة القاري:«.. والإسلام فرّق بينهما. وقال ابن كثير: إنما حرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة، وكان

(١) صحيح البخاري: ج٣ ص ١٧٥. باب الشروط، الناشر: دار الفكر للطباعة ـ بيروت.
(٢) صحيح مسلم: ج٣ص ١١٦. مسند أحمد: ج١ ص ١٤٠. مسند أبي يعلى: ج ١ ص ٢٧٤.

أبو العاص في غزوة بدر مع المشركين، ووقع في الأسر... وقال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب، يعني أن تهاجر إلى المدينة فوفى أبو العاص بذلك ولحقت بأبيها، وأقام أبو العاص بمكة على كفره، واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة، ثم آخر الأمر أسلم وخرج» [١] فلم نجد في التأريخ منقبة لهذا الرجل حتى يمكن قياسه مع علي عليه السلام.

وبين علي ابن أبي طالب عليه السلام روى المناوي في كتابه فيض القدير، عن جابر: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة.

ثم ذكر حديث (علي أصلي وجعفر فرعي)، فيقول: «وفي رواية الطبراني، قال في الحلية: علي سيد القوم محب المشهود ومحبوب المعبود باب مدينة الحكم والعلوم ورواية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وإمام العادلين، أقدمهم إجابةً وإيماناً وأقومهم قضية وإيقاناً وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً قدوة المتقين وزينة العابدين المنبئ عن حقائق التوحيد المشير إلى لوامع علم التفريد صاحب القلب العقول واللسان السؤول والأذن الواعي والعهد الوافي، فقّاء عيون الفتن ووقى من فنون المحن، فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودفع المارقين الأخيشن في دين الله الممسوس في ذات الله» [٢].

ثم ينقل عن أبي أمامة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين

(١) العيني: عمدة القاري، ج ٤ ص ٣٠٢. الناشر: دار إحياء التراث العربي.
(٢) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٤ ص ٤٦٨. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

الناس وآخى بينه وبين علي، قال الإمام أحمد: ما جاء في أحد من الفضائل ما جاء في علي، وقال النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما ورد في حق علي»[١].

إذن فمن كان أخاً لرسول الله قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام، وهو زينة العابدين والمنبئ عن حقائق التوحيد والأذن الواعية، وهو أصل رسول الله، وما جاء في أحد من الفضائل ما جاء في علي عليه السلام، فهل نستطيع بعد هذا كله أن نصدّق بما قاله الزهري في هذه الرواية.

النكارة الثالثة: عدم الاقتران بين المناسبة والموضوع

لو لاحظنا وتأملنا في الحديث الذي يروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام نجد أنه لا توجد مناسبة واقتران بين الموضوع الذي نحن بصدده؛ وهو الخطبة وبين سيف رسول الله، كما سيتضح من خلال الرواية. فلو راجعنا النص الذي يرويه الزهري بدقة لوجدنا أن هناك أمرين أحدهما مختلف عن الآخر، مما يدل على أن هذه القصة موضوعة من قبل الزهري.

وإليك النص الذي رواه البخاري ومسلم:

«عن ابن شهاب(الزهري) أن علي بن الحسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها قال: فقلت له: لا، قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً حتى تبلغ

(١) المصدر السابق: ج ٤ ص ٤٦٩.

نفسي، إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل... الى آخر الحديث»[1].

فما علاقة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله بخطبة علي عليه السلام لبنت أبي جهل، وكيف نفسر إلحاحه في طلب السيف لأن النبي صلى الله عليه وآله قال فاطمة بضعة مني، إذن فلا توجد مناسبة معقولة بينهما على الإطلاق مما يدل على وضعها.

مناقشة السيد المرتضى

وقد ردّ السيد المرتضى هذه الفرية من أساسها بالبيان التالي، حيث قال: هذا خبر باطل، موضوع، ويشهد ببطلانه، ويقضي على كذبه:

أولاً: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك على ما حكى، لما كان فاعلاً لمحظور في الشريعة؛ لان نكاح الأربع حلال على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله، والمباح لا ينكره الرسول ولا يصرح بذمه، وبأنه متأذيه.

ثانياً: لو فرضنا المنع بعد أن أباحه لدليل خاص، فمثل علي عليه السلام لا يمكن أن يفعل محظوراً في الشريعة؛ فليس مقبولاً عند العقل أن ينكر النبي صلى الله عليه وآله على من أراد فعل مباح قبل أن يصير ممنوعاً في الشريعة، ويبالغ في إنكاره؛ بل يذمه على ذلك.

فان الأولى؛ بل اللائق بخلقه الكريم ومقامه العظيم صلى الله عليه وآله، أن يُعلم ذلك علياً من غير ارتكاب هذه التعريضات.

ثالثاً: على أنه لا خلاف بين أهل النقل أنّ الله جل وعلا هو الذي اختار أمير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيدة النساء وأن النبي صلى الله عليه وآله رد عنها جلة أصحابه، وقد خطبوها وقال صلى الله عليه وآله (إني لم أزوج فاطمة علياً حتى زوجها الله إياه في

(١) صحيح البخاري: ج٤ ص ٤٧، وصحيح مسلم: ج ٧ص ١٤١. الناشر: دار الفكر - بيروت –لبنان.

سمائه)[١] ونحن نعلم أن الله سبحانه لا يختار لها من يغيّرها- بزواجه بأخرى غيرها- ويؤذيها ويغمها، فإن ذلك من أدل دليل على كذب الراوي لهذا الخبر[٢].

إذن هذا الخبر باطل وموضوع، وواضح أنّ يد الزهري قد زورت وأدرجت هذا الحديث، فليس غريباً أن تكون هذه الزيادة منه بعد ما تقدم إنه من اتباع معاوية فالأول فهو الجندي والأمير بشهادة الذهبي كما تقدم.

إشكال ابن حجر العسقلاني على السيد المرتضى

قال ابن حجر في فتح الباري: «وكان علي قد أخذ بعموم الجواز، فلما أنكر النبي صلى الله عليه وسلم، أعرض علي عن الخطبة، وإنما خطب النبي صلى الله عليه وسلم ليشيع الحكم المذكور، وأما على سبيل الأولوية، وغفل الشريف المرتضى عن هذه النكتة، فزعم أن الحديث موضوع؛ لأنه من رواية المِسور وكان فيه انحراف عن علي»[٣].

---

(١) روى الهيثمي في زوائده:« عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي» ثم قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٠٤. الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

وروى ابن عساكر في تأريخه: « عن أنس بن مالك قال بينا أنا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ غشيه الوحي، فلما سري عنه، قال: هل تدري ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش قلت: لا، قال: إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب. تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٢ ص ٤٤٤. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

(٢) السيد المرتضى: تنزيه الأنبياء، ص ٢٦٨- ٢٦٩. الناشر: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة. (بتصرف منا في العبارة).

(٣) فتح الباري: ج٧ ص٦٨.

جواب الإشكال

ما أورده ابن حجر مدفوع بثلاثة أوجه:

أولاً: إن إشاعة الحكم المذكور، لا يتوقف على ما فعله النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنه كان يمكن أن يعلنه أو يبلغه بالطرق الطبيعية التي كان يتبعها صلى الله عليه وآله مع الأحكام الأخرى، والتي كان بعضها أشد من هذا الحكم، علماً أن هذا الحكم لم يختص إلا بعلي عليه السلام، وأما بقية المسلمين لا يشملهم الحكم المذكور حتى نقول باضطراره صلى الله عليه وآله لإشاعة هذا الحكم؛ لأنه ليس حكماً عاماً.

ثانياً: إن المسور بن مخرمة قد اتضح من خلال ترجمته المتقدمة، أنه فيه انحراف عن علي عليه السلام، كما صرح السيد المرتضى، فإنه كان يصلي على معاوية كلما ذكره، بشهادة الذهبي المتقدمة، وقد انحاز مع ابن الزبير، ومعلوم أن ابن الزبير كان يبغض علياً عليه السلام وهذا واضح.

إذن كيف يمكن الوثوق بروايات من كان هذا حاله، ولهذا السبب قال السيد المرتضى: إن الحديث موضوع.

ثالثاً: لو تأمل ابن حجر بكلام المرتضى، لاتضح أن الغفلة هي من نفسه هو وليس من المرتضى(رحمه الله)؛ لأنه ذكر دليلاً وعلةً لوضع هذا الحديث؛ وذلك لأن زواج أمير المؤمنين لفاطمة عليها السلام هو بأمر الله جل وعلا، ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يختار لها من يغيِّرها ـ بزواجه عليه السلام من امرأة أخرى ـ فيؤذي فاطمة ويغمها، فإن ذلك من أدل دليل على كذب الراوي لهذا الخبر وهو المِسور بن مخرمة.

الدواعي لوضع هذا الحديث

لعل السؤال يعود مرةً أخرى وهو أنه لو كان الزهري هو من وضع هذه الزيادة في هذا الحديث فما هو المبرر لذلك.

والجواب يدور بين أمرين:

الأول: أن يقابلوا بذلك ما يروونه بأنفسهم - كما مر في صحيح البخاري- من أن فاطمة وجدت على أبي بكر فلم تكلمه حتى ماتت، ليكون علياً عليه السلام قد أغضبها كما أنّ أبا بكر قد أغضبها، وبذلك تسقط حجج الشيعة من أنّ أبا بكر هو الذي أغضب فاطمة، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من أغضبها أغضبني).

الثاني: تبرير سنّة لعن أمير المؤمنين عليه السلام التي مارسها معاوية طيلة ستين عاماً، ليقول إنّ علياً هو السبب في إغضاب رسول الله، ومعلوم ما هو حكم ذلك الإنسان؟

وبعد هذا البيان، فلا غرابة أن يضعوا زيادة في هذا الحديث؛ بل الغريب أن لا نجد ذلك. ومن تصفح التأريخ ولاسيما تاريخ الدولة الأموية يجد أن ذلك واضحاً بلا شك أو ريب.

قال الأستاذ محمود أبو رية: «اشتد الاختراع واستفاض بعد مبايعة علي رضي الله عنه، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكماً أموياً! وقد كان وا أسفاه! وإليك كلمة صادقة دقيقة كتبها الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله في مقدمات رسالة التوحيد بعد أن تكلم عن الفتنة الكبرى التي هوى بها ركن عظيم من هيكل الخلافة، واصطدم الإسلام وأهله صدمة

زحزحتهم عن الطريق التي استقاموا عليها.

قال رضي الله عنه: توالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أن بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة... وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل، وغلا كل قبيل فافترق الناس... إلخ»[1]

إذن فالوضع والاختراع للأحاديث لا سيما في الدولة الأموية كان شائعاً ومشهوراً، وكان القصد من ذلك هو التبرير للحكم السائد آنذاك لأنه مغتصب على حد تعبير الأستاذ أبو رية.

خلاصة ونتيجة

إذن اتضح من مجموع بحثنا أن هذا الحديث موضوع ومختلق ولا يستبعد أن يد الواضعين قد أدرجت فيه بعض الزيادات عليه، واتضح أيضاً أن فيه نكارات واضحة لا تخفى على من له أدنى مسكة من العقل، وما أثاره ابن تيمية قد اتضح بطلانه وفساده بما تقرر.

---

(١) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص١١٨ ـ ١١٩، الناشر البطحاء، ط٥.